الرب راعيَّ

بقلم

هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

البركات التي ينعم بها من يتبع المسيح

إنه يعرف خرافه

يُحصيهم ويدعوهم بأسماء

ويذهب أمامها

وهم يتبعونه حسبما يقودهم، في الغمر أو في اللُهب.

* * *

يكشف أمامنا المزمور الثالث والعشرون بركات من يسلك في هذا العالم، مع الرب يسوع باعتباره راعيه.

وهذا المزمور يرتبط تماماً بالمزمور الذي يليه. فهذه المزامير الثلاثة لها جمال رائع، وقيمة عظيمة، لأننا نرى في كل منها المسيح وهو الموضوع الرئيسي. فمزمور٢٢ يستحضر الرب يسوع كالذبيحة المقدسة، وهو يُقدّم نفسه بلا عيب لله، على الصليب، لكي يُواجه قداسة الله، ويضمن سلامة خرافه.

ومزمور٢٣ يستحضر الرب يسوع كالراعي الذي يقود خرافه في برية العالم.

ومزمور٢٤ يستحضر الرب يسوع كالملك- رب الجنود- الذي يأتي بشعبه إلى مجد الملكوت.

ويستهل المزمور بهذه الجملة الرائعة: "الرب راعيَّ". إن كل مؤمن يمكنه أن يقول "الرب مُخلّصي"، ولكن هل جميعنا نخضع لقيادته، حتى أن كُلّ منا يمكنه أن يقول "الرب راعيّ"؟. لقد أخبرنا أنه هو "الراعي"، ولكن هل يستطيع كل واحد منا أن يقول له: أنت "راعيَّ". إننا لسنا فقط نقبله كمُخلّصنا الذي مات لأجلنا كي يُخلّصنا من خطايانا. بل أيضاً نخضع له كراعينا الذي يقودنا إلى بيته من خلال كل الصعوبات التي تواجهنا.

إذا تصورنا للحظة أن هناك قطيعاً من الغنم بدون راعي. فلا بد أن يكونوا في عوز، وفي غباوة، وفي ضعف، وفي خوف كذلك. وإذا تُرِكوا لأنفسهم لكي يسيروا في هذه البرية فماذا نتوقع لهم؟ إنهم كمخلوقات معتازة فإنهم يجوعون حالاً، وكأغبياء فإنهم يضلون الطريق، وكضعفاء فإنهم يَكّلون ويتساقطون في الطريق، ولكونهم جُبناء فإنهم يهربون من أمام الذئب ويتشتتون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن بالمباينة مع تلك الصورة، ماذا يحدث لو أن القطيع سار في الطريق بقيادة الراعي؟. لو أن الخراف جاعت، فإن الراعي يقودها إلى المراعي الخضراء، وفي غباوتها فإن الراعي يحفظ مسيرتهم، وفي ضعفهم فإنه يقودهم برفق وحنان ويحمل الرضعان، وأما في جُبنهم فهو يسير أمامهم ليقودهم في الوديان الشاقة ويحميهم من كل عدو متربص لهم.

فمن الواضح إذن، أن قطيع بلا راعي معناه أن كل شيء يعتمد عليهم، وهذا يؤدي بالضرورة إلى كارثة محققة. ومن الواضح كذلك أن الراعي إذا تقدم القطيع، وتبعه الخراف فهذا معناه الأمان في الطريق مع التمتع بكل البركات.

وهذه هي الصورة التي تُمثّل حقاً رحلة المسيحي في هذا العالم، ألم يقل الرب أنه هو "راعي الخراف" الذي "يدعو خرافه الخاصة بأسماء"، وأنه "يتقدّم أمامها والخراف تتبعه، لأنها تعرف صوته" (يوحنا١٠: ٢-٤). ويضع أمامنا مزمور٢٣ تلك البركات لهذا الراعي الذي يتقدّم الخراف، وهي تتبعه، ويا للأسف فإننا في ثقتنا بذواتنا، أحياناً نتقدّم أمام الراعي، أو أننا نتكاسل نسير متباطئين خلفه. ولكن يا لها من نعمة تتوفر في هذين الشرطين- فالراعي يقودنا في الطريق ونحن نتبعه- إننا نستطيع أن نعتمد على مؤازرة الراعي للخراف عندما نتواجه أمام كل صعوبة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الظروف التي يواجهها المؤمن

ويلمس المرنّم سبعة ظروف متنوعة دُعينا لكي نواجهها:

١- احتياجاتنا اليومية

٢- احتياجاتنا الروحية

٣- فشلنا وضحالة نفوسنا

٤- ظل الموت

٥- مواجهة الأعداء

٦- الدائرة اليومية

٧- مشهد الأبدية

هذه الأشياء جميعها، وبطرق مختلفة، وفي أوقات مختلفة، تعترض طريقنا، وإذا تُركنا لقوتنا لنواجهها جميعاً، فإننا بالتأكيد سنُغرِق أنفسنا في رُعب وكارثة محتومة. ومع ذلك فإن الرب كراعينا الذي يقودنا في الطريق، به يمكننا أن نسلك بإيمان رحلة البرية التي تأتي بنا إلى المجد بالرغم من الصعوبات التي تواجهنا في الطريق.

وكما أن كل بركة في المزمور تنبع من الجملة الأولى "الرب راعيّ"، فإننا نُقدّم كل عدد بهذه الكلمات "الرب راعيّ".

أولا (ع١) احتياجات الجسد اليومية.

فكيف نواجهها؟.

إن المرنم لا يقول "أنا في منصب حسن فلا يعوزني شيء" أو "لديّ أصدقاء محبون يعتنون بي فلا يعوزني شيء"، أو "أملك وسائل عديدة فلا يعوزني شيء" أو "أحتفظ بشبابي وبصحتي وبإمكانياتي فلا يعوزني شيء".

فقد توجد هذه جميعها وأكثر منها، ولكن الرب يواجه أعوازي. لم يقل المرنم عن أي واحدة من هذه ولكنه يتطلّع من خلف هذه الأسباب والطرق جميعها لكي يرى الرب، بل يراه متقدماً عنها جميعاً فيقول: "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء".

ثانياً (ع) احتياجاتنا الروحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وللمسيحي فإن العالم المحيط به يصبح برية خاوية. فلا شيء في هذه الأباطيل العابرة تُشبع النفس. فمراعيها جافة وقاحلة، وأما مياهها فمياه المخاصمة. أما إذا كان "الرب راعيّ"، فإنه يقودني إلى مراعي خُضر وبجانب مياه الراحة.

كم تذوي سريعاً مسرات هذا العالم، حتى لدى الذين يرغبونه. أما الطعام الروحي الذي يوفره لنا الراعي فهو منعش دائماً، لأنه يقودنا إلى "مراعي خضراء". وأكثر من ذلك، فالراعي لا يُطعم فقط، ولكنه يُسَّر إذ يجعل خرافه تربض "في مراعي خُضر". ولا يُقال عن خروف يربض أنه جائع وهو محاط بوفرة هائلة من الطعام. إنه يتغذى أولاً وعندما يمتلئ فإنه يستلقي رابضاً. وفضلاً عن ذلك فالراعي يقود إلى مياه الراحة. إن المياه التي تتدفق من مجرى وترتطم بصخور كثيرة تُحدث ضجيجاً عالياً، ومع ذلك فهي مياه ضحلة وقليلة. أما مياه الراحة فهي هادئة وعميقة. إن الراعي يُهدّئ نفوسنا ويروي عطشنا الروحي بأمور الله العميقة بعيداً عن كل المخاصمات والضجيج الذي يُشغل الناس, الأمر الذي يتلهى به المؤمن في أحيان كثيرة.

ثالثاً (ع٣) فشلنا وضحالة نفوسنا

ونحن سائرون في برية العالم ربما نفشل في إتباعنا للراعي، وبغض النظر عن فشلنا الحقيقي، فإننا قد نَكّل في الطريق وتجف عواطفنا. ولكن لو كان "الرب راعيّ" فإنه "يَرُّد". وقد يبدو لنا غالباً، أنه عندما نشعر بالإعياء في سيرنا، نظن أنه يمكننا أن نرّد أنفسنا بمجهوداتنا الشخصية وفي الوقت الذي نريده ولكن ليس الأمر كذلك فإننا قد نضّل الطريق ولكنه هو وحده يردنا. لقد رُدَّت نُعمى من تيهانها في أرض موآب وقالت "إني ذهبتُ" وأضافت "أرجعني الرب (إلى بيتي)" وكأنها تقول "أنا ذهبت بعيداً ولكن الرب ردني ثانية". مبارك اسمه، إنه يفعل ويُرّد. أليس كذلك، إن شعب الله على الأرض في معظمهم جماعة كبيرة قد ردها الرب.

وفضلاً عن ذلك، فإنه لا يردنا فقط، بل إنه يقودنا إلى "سُبل البر لأجل اسمه". ويا للأسف فكم يحدث غالباً وربما عن غيرة وإخلاص أن نتحول من "سُبل البر" إلى طرق إرادتنا الذاتية، والتي لا تتوافق مع اسمه. وهذا يبرهن كيف أننا عملياً نسمح للرب أن يقودنا في حدود ضيقة كراعينا. إن سُبل البر التي يقودنا إليها هي "الطريق الضيق" حيث لا مجال بتاتاً للإرادة الذاتية من الجسد، ويمكننا أن نخطو هذا الطريق فقط متى كان الرب راعينا هو الذي أمام أعيننا. وهكذا وجدنا رسولاً بإخلاص حقيقي وغيرة وبثقة شديدة بنفسه يقول: "يا رب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رابعاً (ع٤) ظل الموت

حتى لو كنا أحياء وبقينا حتى مجيء الرب ولم نجتاز شخصياً طريق الموت، ولكم مرة تلو الأخرى فإننا نواجه الوادي المُظلم هذا، عندما نرى أحباءنا يؤخذون من بيننا.

أليس إذن طريقنا في هذا العالم هو رحلة في وادي ظل الموت؟ وفوق الكل فهناك الأصوات التي يرين صداها آتية عبر أجراس تدق.

وبالرغم من كل هذا، فمتى كان الرب راعينا فإننا نقول مع المرنم: "لا أخاف شراً لأنك أنت معي". وأمكن للرب أن يقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يوحنا٨: ٥١). لم يقل الرب أنه لن يجتاز عبر الموت بل إنه لن يراه. إن أولئك الذين يحيطون بفراش قديس يلفظ أنفاسه الأخيرة قد يرون حقاً الموت، أما الذي يقف حقاً في الوادي المظلم فإنه يرى يسوع. ونحن أيضاً إن كان علينا أن نعبر ذات الطريق فهو مجرد عبور من خلاله إنها رحلة قصيرة جداً، أليس مكتوباً: "غائب عن الجسد.. أكون مع الرب". وفي هذا المعبر خلال الوادي، فليس الرب فقط معنا، ولكنه معنا بعصاه وعكازه العصا لطرد الأعداء، والعكاز ليسندنا به من كل ضعفنا.

خامساً (ع٥) مواجهة الأعداء

ونحن محاطون في برية هذا العالم بأعداء يحاولون أن يسلبوا منا التمتع ببركاتنا، ويعوقون نمونا الروحي. ولكن الرب راعينا هو الذي يعد لنا مائدة تجاه مضايقينا. وليس ذلك فحسب، فإنه يعد شعبه لهذه المائدة لأنه يمسح بالدهن الرأس، وهو لا يملأ الكأس فقط بل يجعلها تفيض وتروي. إنه يفعل لنا ذلك بأكثر كثيراً مما فعلناه له في أيام جسده. فقد دعاه واحد من الفريسيين ليأكل معه وبنعمة عجيبة جلس الرب ليأكل في بيت الفريسي، ولكنه قال له: "بزيت لم تدهن رأسي".

سادساً (ع٦) الدائرة اليومية

هناك الطريق اليومي الذي نسير فيه "كل أيام" حياتنا. وكل يوم في حياتنا يأتي لنا بواجبات ومشاغل لا تنتهي، ومصاعب وظروف صغيرة وكبيرة. ولكن إذا تبعنا الراعي فسنجد "خير ورحمة" يتبعاننا.

فهل كنا قريبين من الرب؟ تابعين الراعي بمشقة؟ أليست لنا رؤية واضحة تتبع يده في الأشياء الصغيرة للحياة اليومية فنكتشف صلاحه ورحمته؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سابعاً مشهد الأبدية

وإذ نتطلع إلى ما وراء أيام حياتنا إلى الأبدية التي تمتد في كل ما نراه، فإذا كان الرب راعينا، فإنه لا يقودنا في البرية فحسب، بل في النهاية يحضرنا لكي نسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام. أما للمسيحي فهو بيت الآب، حيث يسكن وليس بعد أعواز الجسد وكل الأشواق الروحية قد وجدت رغبتها، وحيث لا يعترضها الفشل ولا تلكؤ في نمو القلب ولا نواجه بعد ظل الموت ولا يقترب عدو، بل يكون حقاً كأس فائضة رياً، "وكل أيام حياتي" تنتهي "في بيت الرب إلى مدى الأيام". وفي هذا البيت العظيم لن يُفقد واحد من القطيع. "الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد" (يوحنا١٧: ١٢).

خاتمة

كتب منذ سنوات طويلة رذرفورد: "كيف تفكر في محبته؟ وماذا عن قدميه التي خطا بها في هذا العالم صاعداً ونازلاً وهو يبحث عن خروف أبيه الضال، والمثقوبتان بالمسامير؟ وماذا عن عينيه اللتين رفعهما إلى السماء نحو الله في صلاته واللتين أغرقهما بالدموع؟ وماذا عن رأسه التي اخترقتها الأشواك؟ ووجهه الذي كان أجمل من الشمس وقد تَشَوّه، وشعره الذي نتفوه؟ لقد أخذ الخجل وأعطاك المجد. أخذ اللعنة وأعطاك البركة، أخذ الموت وأعطاك الحياة... وكرئيس الرعاة فسيُحصي كل حملانه، ويخبر أبيه بأن كل هؤلاء هم خرافه. لقد ذهبت إلى الغابات والمياه والأغصان الشائكة والأشواك لأجمعهم. وثُقبت رجلاي ويداي وجنبي قبل أن أمُسِك بهم. أما الآن فهاهم أمامك".

فلنتذكر كل ما فعله لأجلنا في الماضي، عندما كان هو الراعي الصالح، الذي بذل حياته عن الخراف، ونعلم بكل ما سيفعله لأجلنا عندما يأتي كرئيس الرعاة، إننا نتطلع إلى وجهه ونحن في برية العالم الحاضرة ونقول:

"الرب راعيّ"

إننا نتبع خطواته

وماذا لو تمزقت أرجلنا؟

فإنها من علامات الطريق

التي تزدحم بالصعوبات والأشواك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com